نوري الراوي

وحديث عن الفن والحياة ..

ماجد كامراني

نوري الراوي ، الفنان ، يبحث عن ملامح فقدت حضورها ، بعض الشيء ، وسط تزاحم التيارات الحديثة ، وفي خضم الحضارة الواسع . عاش في مدينة بسيطة أقرب ما تكون الى الريف بطبيعتها وحياتها، أو هي الريف ذاته: بما فيه من هدوء وادع، وطبيعة ربيعية ، وحنان .. وما في أجوائه من دفء روحي ظل «حبلاً سرياً» يشد نفسه وروحه الى أرض ذلك الواقع الذي عاشه بكل تفصيلاته...

ان نوري، الفنان، لا يتعامل مع الحياة الراهنة إلا بالقدر الذي يحفظ توازن أشياء الماضي في نفسه.. وهذه الألوان الترابية التي تعكس الفرح مرة، والكآبة المغلفة بالحزن أخرى هي «المبادىء» الحقيقية التي يتبناها في إنجازاته، ويسفح ظلالها في ألوانه.. حتى أضحت « قيماً روحية » أو أشبه ، كثيراً ما تتخلل تأملاته، لتضعها «الريشة» خطاً موازياً لخط الأعماق المجهول (بالنسبة للحاضر فقط).

الى هذا الحد، أرجو ان اكون واضحاً، لأبدأ حواري مع الفنان نفسه، كي تتضح لنا هذه القيم اكثر، فنضعه في مواجهة نفسه من خلال هذا الحوار :ـــ

* مع أية مدرسة فنية يمكن لك أن تضع نفسك؟

- لا استطيع بالدقة تعيين الموضع الذي أقف فيه من مدارس الفن ، لأن مدارس الفن الحديث كثيرة ومتشعبة، بل يمكن ان يقال ـــ بدون تحفظ ـــ ان لكل فنان معاصر مدرسته الخاصة...

ومع هذا ، فأنا أضـــع عملي الفني ضمن اطار « التعبيرية الحديثة » التي تعتمد الاسلوب الشخصي في التعبير عن أزمات النفس البشرية ، بتواجد وانفعال مأساوي .

* هذه القيم التي تؤكدها في لوحاتك ورسومك باستمرار .. ما سرها الأبعد ؟

- سر لوحاتي يكمن في جوهرهـا الانساني .. قضية الانسان في ارتطامه الدائم بصخرة الوجود..

* كيف تواجه الواقع، وواقعك بالذات ؟

- الواقع ... أواجهه .. كيف؟.. بالرفض لكل جانب مظلم فيه...

* ماهي نظرتك للحياة؟

- نظرتي للحياة تتشكل وفقاً لمنطق الاحداث التي تعبرها النفس. فهي متغيرة أبداً.. قلقة لا تستقر على حال. ولكنها، رغم كل الاوصاب التي تلم بالنفس، تظل نظرة عاشقة ، محبة، واجدة، لا تنسى أنها تعبر فترة وجود قصير !!

* والموت ؟

- الموت عندي حقيقة الحقائق ، ومرفأ النهاية لكل شراع أتعبته الرياح ...

* ما هي الحقيقة الأساسية في حياتك؟

- وهل استطيع ان ارسم حدود هذه الحقيقة ؟ إذن لكنت فيلسوفاً ... ولكنني مادمت فناناً، فان حقيقتي الاساسية ان اكون للآخرين..

* وهل تشكل هذه الحقيقة عالماً خاصاً لفنك ؟

- من يرى أعمالي الصغيرة يعرف حدود عالمي الفني.

* تفاؤلك بالمستقبل.. هل بامكانك أن تحدده؟

- لو لم اكن متفائلا لما استمرت الريشة بيدي . التعبير عن الحياة هو الرفض المستديم لكوارثها وتوازلها، والتحدي للانكسار والتسليم..

* بماذا تعللون غموض الرؤيا الفنية في اعمال الفنان المعاصر؟

- أعتقد ان الفن في العصر الحديث قد تخطى مرحلة التشبيه الشكلي والطبيعية والواقعية ، الى آخر هذه المراحل ، واصبح في صف الفلسفة بعد ان كان أشبه ما يكون « بالفن الوصفي» ...

ولذا فقد ارتاد أعماق النفس البشرية، واصبحت الرؤيا معقدة تعقيد النفس البشـــرية ذاتهـا . لذا فالغموض جاء نتيجة لتطور فكري شمل جوانب المعرفة الانسانية برمتها ، ومنها الفن . فلم يعد للفنان المعاصر من درب يسلكه ، وقد تحرر من عالم الشكل كلياً، إلا ان يعبر (بأدواته الحديثة) هذا التعبير الحر.

وانطلاقاً من هذه النقطة، بدأ «الحضور الشكلي» يختفي تماماً ويحل بدله « الحضور الكلي » للنفس الانسانية، مرعوبة.. ممزقة.. هادئة ، أو صارخة.. وصار على متأمل الاعمال الفنية الحديثة أن يرقى الى المستوى الانفعالي الذي صاحب العملية الفنيـــة ليدرك لا حدودها الشكلية وحسب، بل آفاقها النفسية والروحية.

الفن الحديث، بهذا المعنى ، صرخة ، أو تعبير عن تخبط النفس ، أو موجة من موجات الانفعـال ، أو خوف وقلق، أو شعور بضياع كامل... حالات متواترة أو متقطعة «تنفرش» على بعدين من قماش، أو ترتفع في الأفق كهياكل الآلهة ... أو باختصار ، فن هذا العصر هو انسان هـــذا العصر مضافاً اليه غموض الآفاق التي يتطلع اليها عبر المجهول .

* ما مدى علاقة الفن المعاصر بحاضر الانسان؟

- أعتقد ان الجواب عن هـذا السؤال جاء مضمناً في تضاعيف الجواب السابق .. وما يمكن أن أضيفه هنا يتعلق بالمدى الحيوي الذي يقع فيه الفنان من خلال تجاربه الفنية..

والتفسير المنطقي لهذا السؤال هو الجواب الذي بدأ الفنان يضعه لمعضلات عصر متأزم ، خال ، في أغلب الأحيان ، من الطمأنينة التي كان يستشعرها «فنان الآلهة في سابق العصور.. »

فالعلاقة بين عصر بذاته وفنان تتضح بشكل جوهري في انتاجه الذي يوازي ذهنية ذلك العصر بمداليلها ورموزها وتجاربها النفسية.

ومهما حاول الفنان المعاصر ان يكون بدائياً ، فهو لا يعدو ان يكون مقلداً لحالة ، وليس مبدعاً لحالة ... فالحنين الذي يلهب خياله لتمثيل حالة الانسان الاول، لايتجاوز مرتبة الحنين...

* هل تعتقد ان الفن عندنا في العراق استطاع أن يتخطى الحدود ويتجاوز المسارات الرتيبة ؟

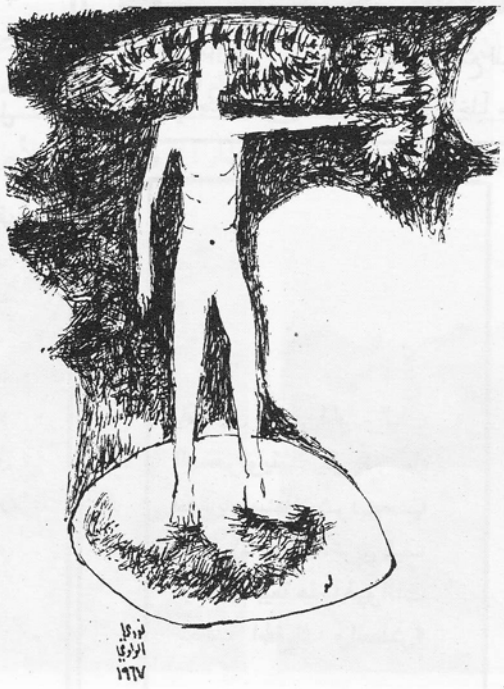

- هناك ظاهرتان في الفن العراقي الحديث: اولاهما تتمثل فى حيويته الدافقة وبحثه الدائم عن آفاق جديدة للتعبير، وهذا ما أوصله بمدار «العالمية».. وثاني الظاهرتين استلهامه للجو العراقي، وتأكيده على الرؤية المحلية، وتأثره بالحدث الزمني.. وهذا ما لون وجوده الظاهر بلون التراب المحترق، ومنحه سمة الفن الرافديني الذي ظل على مراكض الزمن، وما زال، رمزاً للشخصية العراقية المتفردة.

الأزمة التي يعانيها الفن العراقي الآن هي كثرة التجارب التي يعانيها الفنان ذاته، ويصدع، فى لحظات جد متزاحمة، لتحويلها إلى أعمال مسطحة ،ولاعمق... فالفنان العراقي في هذه الفترة الحارة، المتأزمة، المرهقة الى حد الاعياء، يعمل ليصرف عن ذهنه اشد الأفكار تعلقاً وإلحاحاً وتمرداً، وليقف في النهاية وقد أضحى رأسه أشبه بثمرة زايلها الرواء!.

○ إذن، فالأزمة ذاتية.. أليس كذلك؟

- ان هذه الأزمة يشترك في نسج خيوطها اللامرئية، نفس الفنان، وعالمها الخارجي.. فكلاهما يتبادلان التأثير والتأثر.. المد والجذب، فى صراع لا ينتهي.

وهنا، فى العراق، نجد أن أزمة الفنان فى ديمومة، ذلك لأن وطأة الظهور الخارجي للأحداث وللمرئيات على السواء، تشكلان الجزء الأكبر من جوانب مأساته. وهذا ما يؤكد ضغط الخارج، وردود فعله الأكيدة فى الحياة الفنية عموماً، وفى الأعمال الفنية للفنانين الشباب ثمرات الأزمة، بالتخصيص!!

○ لأجل أن يتخطى الفنان هذه الأزمة.. ما هو الحل الذي ترسمه؟

- حل هذه الأزمة مرهون بدوام الرغبة المشتعلة التي ما زالت تمتلك قلب الفنان العراقي، وتدفعه للعمل، بتواجد وعشق يشبه عشق الصوفية للذات العظمى!

وأنا هنا لا أستطيع في هذه الاجابة من رسم، ولو خط ضعيف، على رمل الحياة امام هذا الفنان.. وكل ما أستطيع قوله: هو أن الأزمة ظاهرة من ظواهر الحياة الفكرية والفنية فى أي بلد، ووجودها يعني وجود تلك الحياة واستمرارها...

الحياة فى الصحراء

ترجمة عبد المجيد كشاوي

تبلغ المساحة الصحراوية الخمس من سطح الكرة الارضية، وقد جعل تضافر الحر والجفاف الزراعة المنتظمة أمراً متعذراً فى الصحراء. ومهما اختلفت الصحارى في درجة قحولتها فانها تظل بيئة سيئة للانسان والتطور.

على ان هذا لم يمنع أن تسكنها حيوانات مختلفة تجمعها كلها تقريباً قدرة التكيف والتلاؤم مع الحر الشديد وشحة الماء..

ومن المعلوم ان الانسان وسائر الحيوانات الثديية الأخرى تحافظ على درجة حرارتها من الارتفاع الى مافوق الحد الطبيعي بواسطة العرق؛ أي بتبخر الماء من خلال الجلد. وقد استدل على هذا بأن مكث بعض الرجال طوعاً ولمدة ثلاثة ارباع الساعه فى غرفة موصدة رفعت درجة حرارتها الى ١٢٦ درجة مئوية وقد غلى الماء فى الصحن المقفل الذي أدخلوه معهم

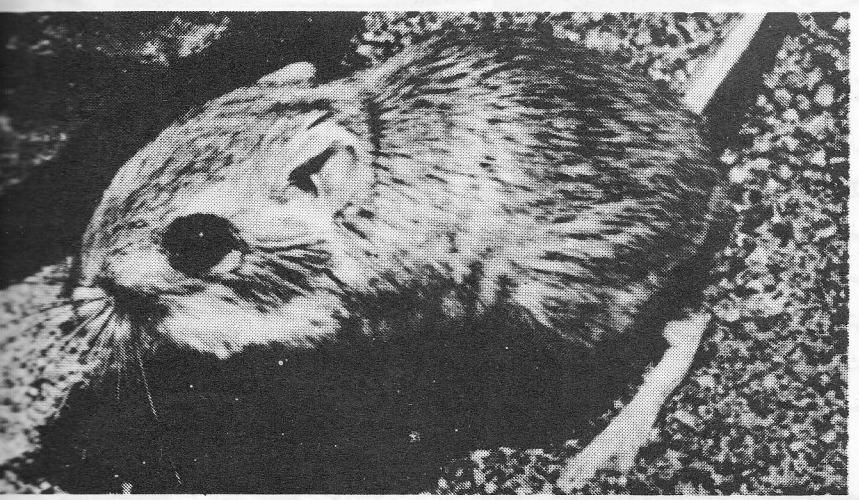

جرذ الكنغر، أنموذج للتكيف الرائع للبيئة الصحراوية؛ فهو لا يشرب الماء مطلقاً، وكل ما في جسمه من ماء يتحول داخلياً من الكربوهيدرات.

بامكان بعض الحيوانات الصحراوية العيش بغير ماء لعدة أيام، بينما لا يشرب بعضها الآخر الماء مطلقاً. ترى كيف هيأت الطبيعة هذه الحيوانات لمقابلة الجفاف والعطش؟

ونضجت شريحة اللحم، ومع ذلك لم يعانوا من أي مرضي يذكر. على أن درجات الحرارة فى الصحراء لاترتفع الى مارفعت اليه درجة حرارة الغرفة مطلقاً كما ان الرطوبة فى الصحراء هي أقل مضايقة للانسان من البرودة..

ولعل الانسان أن يطرح، فى نهار الصحراء القائظ من العرق ساعة واحدة مايقرب من قنينتين، وهو هو الهلاك بعينه مالم يقابله تعويض بشرب كميات كبيرة من الماء.

وتلك الحيوانات التي لاتعرق تخفض درجة حرارتها بواسطة التلهث؛ والتلهث بدوره يزيد من